تجربتي في تعريب المصطلحات العلمية

الدكتور عبد الكريم اليافي

طلبت لجنة السكان بمنظمة الأمم المتحدة في دورتها الرابعة إلى أمين المنظمة إدخال مشروع يقتضي وضع معجم ديمغرافي متعدد اللغات في برنامج عملها .

ثم عرض الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية مشاركته في هذا المشروع . وتألفت لجنة من علماء بعض الأقطار لتأليف هذا المعجم . وقد هُيِّئت مسوّدة له سنة ١٩٥٤ أرسلت نسخ عنها إلى العاملين في بحوث السكان ليروا رأيهم في المصطلحات المؤلفة . ثم عمدت اللجنة بعد تلقيها مختلف الآراء وقبول ما هو مناسب إلى صوغ المعجم وطبعه بصيغته التي ظهر بها في الفرنسية والانكليزية والاسبانية سنة ١٩٥٨ ، وهي اللغات العملية التي كانت إذ ذاك لمنظمة الأمم أي بعد مضي أربع سنوات على نشر المسوّدة .

وفي غضون تدريسي لمادّة علم السكان بالجامعة السورية التي صار اسمها بعد حين جامعة دمشق كنت مساراً للبحوث السكانية في أكثر الأقطار ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فاطلعت على فكرة وضع ذلك المعجم منذ نشوئها ، كما اطلعت على نسخة المسوَّدة الوقتية ثم على الطبعة الأخيرة له .

ولم تكد تلوح الوحدة بين سورية ومصر حتى قدمت اقتراحاً بوضع نسخة عربية لهذا المعجم الذي لم يمض إذ ذاك على صدوره سنة واحدة . وقد أقر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة هذا الاقتراح سنة ١٩٦٠ ، وعهد إليَّ وإلى الدكتور عبد المنعم الشافعي من القاهرة في أمر النسخة العربية . وتقاسمنا كلانا الفصول . وعلى الرغم من انفصام الوحدة بعدئذٍ وتدابر الأقليمين الشقيقين استطعنا أن نجتمع وأن نتذاكر في النص العربي المهيأ سنة ١٩٦٣ ثم ننهي إلى المجلس الأعلى النصَّ الذي اتفقنا عليه بعد جهد جاهد ومناقشات طويلة استمرت نحواً من الشهر واشتملت على نصيب من التساهل حسماً للخلاف ورغبة في الإنجاز .

ولم يكن الغرض مجرد ترجمة المعجم الانكليزي أو الفرنسي إلى العربية. وإنما كان الغرض وضع المصطلحات السكانية وتعريفاتها باللغة العربية بحيث يحمل كل مصطلح منها رقماً إلى جانب رقم الفقرة التي يرد في ثناياها . فالمصطلح محدد برقمين : رقمه هو ورقم الفقرة التي هو فيها . وذلك بالاستناد إلى المصطلحات الأجنبية ودلالاتها . وهكذا لا يوجد في كل معجم إلا لغة واحدة يمكن مقابلة كل مصطلح فيها عند الحاجة بمصطلح اللغة الأجنبية فرنسية أو إنكليزية أو إسبانية أو غيرها بالنظر إلى الرقمين . وهذا من شأنه تحديد معاني المصطلحات بإيراد تعريفات لها دقيقة مطابقة ، ومن شأنه أيضاً تسهيل الترجمات من لغة إلى أخرى في هذا المضمار وتنسيق البحوث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيه . وذلك كله بإضافة ما هو خاصّ بثقافة أهل اللغة وعاداتهم مما يتعلق بقضايا السكان . وقد ظهر المجلد العربي سنة ١٩٦٦ في القاهرة أي بعد انسلاخ خمس سنوات على إعداده . ولقد كان هذا التأخير إجرائياً محضاً ، ولا علاقة له بإنجاز النص .

ولم نجد أنا ورصيفي عقبات بارزة في وضع المصطلحات الديغرافية الحديثة باللغة العربية الواسعة المطواع . وإنما كانت الصعوبة في اختيار أنسب المصطلحات وأمثلها وأشفّها دلالة عن المعاني .

سأعود بعد قليل إلى هذا الموضوع لأوضح كيف تم ظهور المعجم العربي . هذا ولم نكن نعمد إلى اختراع ألفاظ غريبة وغامضة إلا عند الحاجة القصوى . وإلا فإنه متى اتضحت الفكرة وملك المرء جانباً من زمام التعبير في اللغة العربية جاء الاصطلاح يسيراً . ولعل بعض الأمثلة يوضح ما نريد .

قد يتردّد الذين يكتبون في علم السكان تلقاء المصطلح الفرنسي

Durée moyenne de la vie , espérance de vie

أو ما يقابله في اللغة الانكليزية :

mean length of life, expectation of life

فيقولون : أمل الحياة أو يقولون : توقع الحياة . فلا يكاد يفهم المرء من ذلك شيئاً . وهنا نحب أن نشير إلى أن اللغات الأجنبية لغات جامدة توضع المصطلحات فيها دون أن تكشف تمام الشفوف عن حقائق المعاني أو كنه المراد. إن ذلك المصطلح الأجنبي يعني ما يتحصّل إحصائياً إذا أخذنا جيلاً من الناس أي أناساً أترابا ولدات ولدوا في سنة واحدة وطبقنا عليهم نسب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الوفيات الجارية في مجتمعهم سنة تلو سنة حتى فنائهم جميعاً وقسمنا على عددهم مجموع آجالهم . فذلك هو ببساطة كبيرة الوسط الحسابي لآجالهم أي هو « الأجل المتوسط » أو « الأجل المتوقع » لذلك الجيل إذا أردنا أن نستعمل لفظاً من ميدان حساب الاحتمال . ولا شك أن التعبير العربي هذا أشف عن المراد من الألفاظ الأجنبية المتعددة الطويلة الجامدة التي ليس فيها رونق اللفظ العربي ولا طلاقته ولا دقته ولا شفوفه . وعندما نقرأ في الصحف أو المجلات العربية موضوعاً يمس هذه الأمور نعجب من كاتبيها أو مترجميها حين يقولون ما معناه أن حياة الانسان قد طالت في العصر الحاضر . وإنما الذي طال هو الأجل المتوسط للمواليد بسبب نقص وفياتهم خلال العام الأول من حياتهم . ولا شك أن اختيارنا لهذا التعبير العربي متصل بمصطلحات ديمغرافية أخرى يلزم تفريق بعضها عن بعض . وهي « العمر المتوسط » وهو الوسط الحسابي لجماعة من الناس أحياء من أجيال شتى . و « العمر الوسيط » وهو العمر الذي يقسم جماعة من الناس أو مجموع الناس في المجتمع إلى شطرين متساويين عدداً . و « العمر المعتاد أو النظامي » وهو العمر الذي يبلغ عدد الوفيات في جيل متتبع نهايته العظمى أو أوجه ، أو هو « المنوال » لعدد الوفيات في الجيل بالتعبير الإحصائي . وهو ما أشار إليه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في بعض حديثه لما بلغ الخامسة والستين حين قال ما معناه أنه أمسى في معترك المنايا ، دون أن يكون لديه علم بهذا المصطلح الإحصائي ، وإنما هو الحدس الإنساني البليغ . و «الأجل الوسيط» أو «الأجل المحتمل» ، وهو العمر الذي يصبح عدد الجيل فيه نصف ما كان ، هنا نستقرىء عدد الجيل سنة فسنة ، بل بعض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أجزاء السنة حين يتتابعون إلى الموت (التتايع بالياء هو التتابع إلى أمر مكروه) . أما العمر الوسيط الآنف فهو يتعلق بجماعة من الأحياء فقط أياً كانوا فيقسمها قسمين متساويين .

وقد احتجنا في بعض المواضع إلى اعتماد ألفاظ قل استعمالها وإن كانت سليمة صحيحة . ففي فن التوليد « تصنف الأمهات الحوامل اللواتي قرب مخاضهن بالنظر إلى الأمومة إلى أبكار أو خُرُسٍ وضوانىء سبق أن وضعن . أما اللائي لم يضعن قط فيجوز دعوتهن العوط جمع عائط » . وقد شرحنا أمثال هذه الألفاظ في الحواشي ، وأضفنا إليها استعمال ألفاظٍ أخرى . هذا وإن لفظ العائط ، وقد يجمع على عيطٍ أيضاً ، أوسع من لفظ العقيم لأن العائط ربما لا تكون عقيماً .

والألفاظ الأجنبية في فن التوليد مصطلحات علمية حديثة لايفهمها إلا الأطباء وأصحاب الاختصاص وعلماء الأحياء . فالخروس تقابل في الفرنسية Primipare ، وفي الانكليزية Primiparous . ولها مرادف باللغة العربية وهو البكر . ولكن هذا اللفظ في لغتنا له عدة معان نقتصر منها ههنا على معنيين : الأول البكر العذراء وجمعها أبكار والمصدر البكارة ، والثاني البكر المرأة والناقة إذا ولدتا بطناً واحداً ، وهو ما أردناه في ذلك السياق . وتستشهد كتب اللغة على هذا المعنى بقول أبي ذؤيب الهذلي :

وإن حديثاً منك لو تبذلينه ... جنى النحل في ألبان عوذٍ مطافل
مطافيلَ أبكارٍ حديثٍ نتاجها ... تشاب بماء مثل ماء المفاصل

كما تورد قول أبي الهيثم شارحاً هذه التسمية حين قال : « والعرب تسمي التي ولدت بطناً واحداً بكراً بولدها الذي تبتكر به » . ولقلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شيوع المعنى الثاني أردفنا لفظ الأبكار بالخُرُس جمع خروس وهي البكر في أول حملها . هذا والشيء بالشيء يذكر . فالخُرْس طعام الولادة كالخِراس، ثم صارت الدعوة للولادة خرساً وخراساً . والخُرسة بهاء ماتطعمه النفساء نفسها على حد إيضاح ابن جني .

ومهما يكن من أمر فقد سبقت العربية إلى وضع تلك المصطلحات الحديثة !

كذلك لم نجد في بحوث الولادة والإسقاط والتعمير والمرض والوفاة حرجاً من جانب اللغة العربية بل كانت تمدنا بألفاظ وتعابير غنيّة وسهلة إلى درجة أن رصيفي قال بعد تردد : إن الألفاظ العربية التي ضربنا صفحاً عنها ربما يحتاج العلم إليها في المستقبل عند تقدمه أشواطاً جديدة .

يمكن إيراد أمثلة أخرى في أرجحية التعابير العربية الحديثة على أمثالها في اللغات الأجنبية أو مكافأتها لها . ولكن هذا الموضوع يقتضي تفصيلاً ربما لا يستسيغه الذين ليس لهم اختصاص في هذا الميدان مادام البحث قضية تعريب المصطلحات العلمية .

وليس معنى ذلك أننا نجد في العربية ما يقابل جميع المصطلحات الأجنبية الحديثة . هيهات هيهات ! ولكن في مجال التنقيب والاشتقاق بأنواعه والنحت والتركيب والإبدال واعتماد مقاييس اللغة الكثيرة و «تطويع» الألفاظ الأعجمية وغيره سعة أيّ سعة .

لنعد إلى أمر المعجم الديغرافي المتعدد اللغات ولنبين مشكلات تتعلق بمسألة شيوعه وانتشاره واعتماده . وهو أنه بعد انفصال الأقليمين الشقيقين مصر وسورية واعتماد مخطوطة المعجم العربي أرسل إليّ مدير لجنة المعجم الدولية نسخة مطبوعة لها يسألني رأيي فيها قبل اعتماد تلك اللجنة لها إذ كنت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صاحب الاقتراح الأول . فتجشمت عناء المراجعة الدقيقة لهذا المجلد العربي وأثبتُّ جدولاً بالأخطاء المطبعية والألفاظ التي سقطت أثناء الطبع ثم أجزت الكتاب بشرط أن ينشر الجدول بذيله . بَيْدَ أن المجلد العربي نشرته وزارة الثقافة دون إثبات التصحيح ، مع أن المعجم كل معجم ينبغي أن يكون خلواً من التحريف والتصحيف والسقطات وأمثالها . وقد طبع منه خمسمائة نسخة فقط كما ترامي إليّ ولم يرج الرواج اللازم له في الجامعات والمعاهد مع حاجتها إليه . كذلك لم تصلني إلا النسخة التي بعث بها مدير لجنة المعجم الدولية إليّ مع أني صاحب المشروع وقد تابعته من أوله إلى آخره .

ومع عيوب هذا المجلد العربي فقد استفادت منه الجمعية الإحصائية للبلاد العربية ، وأصدرت « قاموس المصطلحات الإحصائية والديموجرافية » (انجليزي عربي) ، لا يحمل تاريخاً ، ترجمة عبد المنعم الشافعي وحسن محمد حسين وأحمد عبادة سرحان وخطاب محمد حسنين . أشاروا في مقدمة هذا القاموس إلى أنهم اعتمدوا في جملة ما اعتمدوه « المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات » الذي شاركتُ في وضعه . وكذلك أصدر « المركز الديموجرافي لشمال أفريقيا بالقاهرة » سنة ١٩٦٧ « القاموس الثلاثي للمصطلحات الإحصائية والديموجرافية » (عربي - إنجليزي - فرنسي — عربي) أشار زميلي الدكتور عبد المنعم الشافعي مدير المركز إذ ذاك في تصديره إلى المعجم الديموجرافي الأول .

إن التوفيق في وضع أمثال هذه المعجمات ليس أمراً يتعلق بالبلاد العربية وحدها . بل هو شأن ثقافي وإنساني له علاقة بأقطار متعددة تجمعها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والبلاد العربية جذور ثقافية أصيلة قوية . فلقد كتب إليّ الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية يسأل عن أخبار المجلد العربي بعد ذيوع إنجازه لأن بعض البلدان تطلبه لوضع معجمات بلغتها مما له صلة بالثقافة العربية كإيران وباكستان وأندونسية وتركية .

ذلكم أن قضايا السكان وما يجري مجراها من مواليد ووفيات وزواج وطلاق ذات وشائج عميقة باعتبارات حضارية شاعت وعمّت أقطاراً متعددة . ولما كانت اللغة العربية مَعيناً ثرّاً في الماضي لمختلف اللغات فقد تجد هذه اللغات عوناً ما أو رفداً حين تصادف ضالّتها ميسرة مذللة بسيطة في اللغة العربية . وهكذا يكون عكوف الباحثين في البلاد العربية على اللحاق بالتراث العالمي في مصطلحاته دعماً أكيداً لزملائهم في كثير من الأقطار الناهضة .

على أن العلم في تقدّمه لا يقف عند معجم أو كتاب بل هو حثيث السير قُدُماً تنبت على صعيده المصطلحات الحديثة كل يوم . ولهذا أصبح « المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات » عليه مَسحة من القدم بالنسبة لعلم السكان الحالي وبالنسبة لمصطلحات جمّة مستجدة . فعمد الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية منذ حين إلى تأليف لجنة جديدة تضع معجماً جديداً على غرار المعجم القديم ولكنه أوفى منه بالحاجات العلمية الناشئة . ولما يتهيأ لهذا المعجم الظهور .

وليس هذا التأخر في وضع المعجم الجديد بأقل منه في وضع المعجم الأول . وذلك لصعوبة تجميع المصطلحات الجديدة ولمّ شعثها واصطفاء أصحّها وأمثلها في لغات عالمية كالانكليزية والفرنسية وغيرهما ومقارنة بعضها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ببعض . ومما هو جدير بالتنويه أن معجمنا العربي الذي تكلمنا عليه سبق في ظهوره كثيراً من المعجمات الأجنبية كالمعجم الألماني والسويدي والتشكسلوفاكي وغيرها . ونحن لا نشك في قدرة اللغة العربية على استجابتها لتقدم العلوم . وإن كان هنالك مشقات فإن في جميع اللغات مشقات في ابتداع المصطلحات الحديثة والتقاطها واختيار المناسب منها . ومن يطالع تاريخ اللغات الأجنبية وتكوّنها ومشكلات مصطلحاتها الحديثة يغمره العجب من مرونة لغتنا العربية وسعتها كما يبهره الإعجاب بها .

نورد مثالاً بسيطاً على مرونة اللغة العربية فنأخذ كلمة في علم السكان فرنسية شائعة وهي Statistique de l'état civil ومقابلها بالانكليزية Vital Statistics . وعلى الرغم من أن لفظ vital من أصل لاتيني لم يعتمده الفرنسيون في هذا السياق . ونحن في اللغة العربية نقول :«إحصاء الأحوال المدنية » مقابل المصطلح الفرنسي و « الإحصاء الحيوي » مقابل المصطلح الانكليزي ، وإن كنا نرغب في الاقتصار على اصطلاح واحد . وقد أصبح التعبير العربي المقابل للفظ الانكليزي أشيع وأعمّ لتأثير اللغة الانكليزية في كثير من الأقطار العربية ولذيوعها العالمي .

اللغات الأجنبية ضيقة ضحلة . مثال ضحلها وضيقها أيضاً أن اللغة الانكليزية حين تريد أن تفرّق بين معدل الوفيات Death rate أو المَوتان — على حد تعبير ابن خلدون وأشباهه القدماء — ونسبة الوفيات أي احتمالها Mortality rate ، تعمد إلى اللغة اللاتينية وهي لم تتحدّر منها فتستعير اللفظ mortality . أما اللغة الفرنسية فإنها تعمد إلى تغيير لفظ المعدل Taux de mortalité فتستعمل لفظ خارج القسمة للدلالة على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الثاني فتقول quotient de mortalité . ولسنا ههنا بصدد بيان الألفاظ العربية الكثيرة الدالة على الهلاك بأشكاله المتنوعة وسياقاته المتفاوتة ، حفظ الله على القراء حياتهم وأمد في أعمارهم وأمتعهم بخيرات الدنيا والآخرة . فهم يعرفونها ، أو يسهم الرجوع إليها في كتب اللغة الشهيرة .

* * *

ربما يرد إلى الذهن أننا في ميدان علم السكان على صعيد خاص قد بلا العرب قديماً فيه مختلف الصروف ورصدوا شتى اللحظات والملاوات والتقلبّات . ولكن كيف بنا إذا عالجنا موضوعاً يتعلق بالمستحدثات الجديدة والأساليب المستطرفة كما في الفيزياء الحديثة .

نقول أولاً : إننا نقرأ البحوث العربية المتباينة في هذا الميدان ونعجب للخلل الذي يعتورها واللبس الذي يشوبها والركاكة التي تخامرها والإبهام الذي يكتنفها سواء كان ذلك في علم السكان أو غيره ، وذلك من قلة احتفال مؤلفيها باللغة العربية وضآلة ممارستهم لبيانها .

ونقول ثانياً : نحن لا ندّعي أنا نملك أداة البيان العربي ولا أنا مطلعون على خزائن اللغة العربية وكنوزها . ولكن جلّ ما نفخر به أننا نحترم هذه اللغة العظيمة ونقدرها حق قدرها ونحاول أن نعرب بها إعراباً دقيقاً عن أفكارنا ومشاعرنا . هذا وقد أتيح لنا في الماضي أن نعالج فيها بعض البحوث العلمية الفيزيائية الحديثة فلم نجد فيها حرجاً ولا من جانبها ازوراراً ولا في وضع المصطلحات فيها عقبات . وقد راج بعض هذه المصطلحات ، وقُيّد بعض آخر — لم أشرح كيف صغته — تقييد قاف رؤبة ، على حد تعبير أبي العلاء المعري ، لم يقدر لها إجراؤها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلقد نظرنا في الأجزاء الصغيرة القصوى للضوء وللمادة ، فاشتققنا لفظ السُّتَيَّة من السنا بعد تصغيره وإضافة تاء التأنيث مقابل لفظ فوتون Photon حتى خيّل إلينا من لفظها أن حبّة النور هذه تلعب وتتوثب في الشعاع وذلك في قسم « البوزيات Bosons » وهي الأجزاء الدقيقة التي تخضع لإحصاء بوز ـ أينشتين .

وعمدنا إلى الأويّل مقابل لفظ بروتون Proton فاستبدلنا الميم من المعتدل باللام فأصبح معنا الاويّم مقابل نيوترون Neutron كما استبدلنا أيضاً بها النون من أول لفظ النواة فصار معنا الأويّن Nucleon ، وهو الجزء الأصلي من نواة العنصر .

وكذلك قلنا ما قاله غيرنا الكهرب مقابل إلكترون Electron ثم بدلنا الباء سيناً للإشارة إلى كونه سالباً فصار كهرساً مقابل Negaton ، وبدلنا الباء جيماً فصار كهرجاً مقابل بوزيتون أو بوزترون Positon ، أو Positron ، وهلم جرا . ولست أريد أن أسرف في التعداد لأنه ليس هنا موضعه . ولكن أحب أن أشير إلى أن هذه الاصطلاحات العربية تبرز سلالات الأجزاء الدقيقة تلك وتظهر أسرَها التي تتحدر منها ولا يعمّيها التركيب الأجنبي الذي لا يميز تلك الأسَر والسلالات بعضها من بعض حين يجريها على نسق واحد باضافة اللاحقة On .

ولا يخفى أن عملنا هذا من ضروب المقترحات . ولسنا نحاذر من استعمال اللفظ الأجنبي لشيوعه وعمومه في مجال العلم . ولكنا أردنا أن نضرب أمثلة على سهولة التعريب عند قصده ويسر العثور على مصطلح يناسب طبيعة اللغة العربية . وإلا فليس ما يمنع من تداول المصطلح الأجنبي على أن يحسن ضبطه وإملاؤه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وثمة أجزاء دقيقة متعددة حديثة من نوع « الخفائف Leptons » التي يدخل فيها الكهرب ، وأخرى من نوع « الثقائل Baryons » التي منها الأويل . وكلا النوعين من « الفرميات Fermions » التي ينطبق عليها إحصاء فيرمي — ديراك .

ويختلف « البوزيات » عن « الفروميات » بخصائص عدة ولا سيما بما دعوناه « اللاف Spin » .

وإذا أمكن إبقاء تلك الألفاظ الأعجمية على حالها — ولا بأس عندنا في ذلك — بقيت تعابير لا بد من اختيار مقابلاتها العربيات أمثال علائق الارتياب والحتمية واللاحتمية ومبدأ الاشتباه وغيرها . بل إننا نجد أحياناً أن اللفظ العربي أسلم تعبيراً من اللفظ الأجنبي . فمن المعروف أن لفظ الذرة التي قوبل بها اللفظ الأجنبي « أتوم » أصلح من هذا اللفظ ، لأن اللفظ الأجنبي وضع ظناً أن مدلوله لا يتجزأ . ولكن تقدم العلم أفضى إلى تجزئة الأتوم الذي أصل معناه أنه لا يتجزأ . فهنالك تناقض بين اللفظ ومعناه ، يشهد على ذلك نظرية « الجزء الذي لا يتجزأ Atomisme Atomism » ، وهي قضية فلسفية وعلمية شغلت الهنود واليونان والعرب قديماً ، وما تزال تشغل الفكر الانساني في العصر الحاضر . وخلاصتها في نظر العلم الحديث أن المادة أو الضوء في أحد اعتباريها وهو الجسيمي لا الموجي يقف انقسامه عند حد ، فهو لا ينقسم إلى ما لا ينتهي من الأجزاء . فهذه النظرية التي كانت باشتقاق لفظها الأجنبي تعتمد على لفظ الأتوم في أوائل العصر الحاضر قد تجاوزت حقيقة الأتوم الذي تجزأ إلى التساؤل عن الكهرب وعن السنتيمة وأمثالها أقابلة للتجزئة هي أيضاً أم لا . وعندئذ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تبدو نظرية الجزء الذي لا يتجزأ أعمق من فكرة تألف المادة من الذرات ما دامت الذرة قد انفصمت جسيمات ضئيلة . وهكذا بالتعبير العربي يزول اللبس الذي يوحي به التعبير الأجنبي عن تلك النظرية .. وأياً كان الأمر فليس غرضنا التنويه بمزايا اللغة العربية والحفض من اللغات الأجنبية التي بلغ بها أبناؤها شأواً متقدماً . بل نحن نرى أن لكل لغة مزايا يبرز بعضها في مجال ويختفي في مجال آخر .

وإذا التمسنا تشبيهاً لمزايا مختلف اللغات استطعنا أن نجد ذلك في الجمل العددية المتعارفة أو نظم العد في الحساب من جملة عشرية شائعة ذائعة ومن جمل أخرى كالجملة الاثنينية أو الثنائية والثلاثية والسداسية والاثني عشرية وغيرها . فمن المعروف أنه يصعب علينا إفادة الثلث بتمامه في الكسور العشرية وتسهل إفادته سهولة بارزة في الجملة الثلاثية ، التي أساسها الثلاثة دون العشرة . وكذلك النصف تسهل إفادته التامة في الجملة العشرية وفي الجملة الثنائية وتصعب في الجملة الثلاثية . وهكذا دواليك إذا توسعنا في أنواع الجمل الحسابية وإفادة الكسور في كل منها . وعلى الرغم من شيوع الجملة العشرية وذيوعها نجد في العصر الحاضر أهمية الجملة الثنائية في ميدان الحاسبات الكهربية . وهكذا اللغات . لكل لغة مزايا وإفادات يسيرة سهلة في بعض الميادين كما قد تصادف عقبات في ميادين أخرى . ومع تلك العقبات والمزايا تلتزم الأمم بلغاتها وتعتز بها وتربي أبناءها على بيانها وتتعهدها بالصون والتجويد والتدقيق والإساغة والإشاعة والتزويد والترويض وغير ذلك . وما رأينا إلا الأمم المتخاذلة أو الصغيرة أو المنقرضة تتجافى عن بيانها الأصيل .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد بسّطنا الأمور تبسيطاً شديداً على عمد للتخفيف من مشكلة التعريب . ولا شك أن البلاد العربية أمام عقبات هائلة من مصطلحات العلوم المختلفة الواسعة الزاخرة . وعندنا بوارق أمل في أعمال مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب وجامعات البلاد العربية ومعاهدها في تذليل تلك العقبات وتعبيد الطرق إزاء المصطلحات الأجنبية أو استعمال بعضها . ولكن هذه القضية ليست مشكلة كبيرة في رأينا . فهي قضية تنطرح في مختلف اللغات حتى اللغات الحديثة المتقدمة . ومن مارس مشكلة المصطلحات الحديثة واضطرابها في اللغات الأجنبية يعرف مزالق هذه المشكلة ومصاعبها كما يعرف الاختلاط والتناقض فيها أحياناً . ولذلك يلجأ الاختصاصيون في تلك الأقطار إلى كفكفة ذلك الاضطراب وتقليله وتنسيقه بعقد الندوات ووضع المعجمات ونشر البحوث . إن الأفكار حين تشيع بين المثقفين أو المختصين لا بد من أن يواتيهم التعبير عنها بمصطلح أو بآخر .

ولكن المشكلة في رأيي عندنا هي مشكلة معرفة اللغة العربية . فلقد انجاب ليل التأخر في البلاد العربية عن نهضة سبقت لامثيل لها في البيان وفي السعي لوضع المصطلحات الحديثة . حتى إن العلماء الأجانب استطاعوا في مدة يسيرة أن يتعلموا اللغة العربية وأن يكونوا أصحاب بيان سليم في الميداني العلمي . هل نذكر مثلاً العالم الأمريكي كرنليوس فان ديك الذي علّم في الجامعة الأمريكية ببيروت وكتب كتباً سليمة التعبير دقيقة الدلالة سائغة الفهم في الفلك والفيزياء وفي غيرهما؟ هذا بصرف النظر عن مراكز التعليم العالي التي كان يشرف عليها في فجر النهضة من أبناء البلاد من هم عنوان فخر في هذا المضمار ، كما حدث مثلاً في كليتي الطب والحقوق بالجامعة السورية زمناً سابقاً . ولكن العجب أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انبعاث اللغة العربية في شتى الميادين قد خبا نوره الآن وآل إلى اللكنة الدارجة واللاخلخة المقيتة والركاكة المتقتقة وأمثال هذه العيوب بسبب الدعوة إلى تسهيل اللغة وانصراف الأبناء عن لغة آبائهم الجميلة . كم يعيب البلاد العربية أن أساتذتها في مختلف معاهدها قلّ منهم من يستطيع إلقاء الدروس بلغة سليمة أو كتابة صفحات يسيرة دون لحن ولا غموض ولا ركاكة ! هذا إذا ضربنا صفحاً عن خلل الكتابة الأدبية وتهالك الأساليب الصحفية في سدفة التعابير الحديثة .

القضية عندنا إذن قضية إلمام باللغة العربية . وليست لغتنا صعبة كما يتوهم أو يدّعي فريق من الناس الأدعياء : فكثير من اللغات ربما بزّ شبهاً بالعربية في غناه كالروسية مثلاً ، وزاد على العربية في تصعب أشكال إعرابه المتعددة كالروسية أيضاً فضلاً عن الصينية واليابانية وأمثالها . أقول قضية إلمام باللغة العربية فلا يحتاج الأمر إلى التبحر فيها . بَيْدَ أنّ الإلمام باللغة العربية وضبط مبادئها موضوع مستقل ندعو إلى معالجته معالجة سليمة والتفكير فيها تفكيراً صحيحاً مجـــدياً . ولن يعدم الباحثون فوائد تعود بالخير والنجاح . فاللغة نسغ الحياة الفكرية ، ومطية الثقافة الانسانية ، وسبيل تحقيق القيم الرفيعة . بل هي أغلى الروابط القومية ، وأعلى الأواصر الحضارية .

عبد الكريم اليافي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net